

النشرة

تصدرها مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

العدد ٤٨ / ٢٠٠٠

الأحد ٢٦ تشرين الثاني

أبوينا البارين ألبيبوس العمودي
ونيكُنُ المستتيب

اللحن السادس
إنجيل السحر الأول

الرسالة (أفسس ٢ : ٤ - ١٠)

الإنجيل (لوقا ١٨ : ١٨ - ٢٧)

+ القديس يعقوب الفارسي المقطع

تُعِدُّ الكنيسة المقدسة في السابع والعشرين من تشرين الثاني لتذكار القديس الشهيد يعقوب الفارسي المقطع الذي فضّل محبة يسوع والموت لأجله على محبة ملك فارس وتترف البلاط الملكي، واختبر قطع الأوصال بصبر شديد حتى صار نموذجاً لاحتمال العذابات والآلام.

وُلد يعقوب حوالي عام ٤٠٠ في مدينة لابات، في بلاد فارس، لعائلة ثرية نبيلة كانت على الإيمان المسيحي. تربي على الإيمان القويم والوداعة ومحبة الفقراء وضيافة الغرباء، كما حصل على قسط وافر من العلوم الدنيوية. تدرّج يعقوب في المناصب العامة إلى ان صار ضابطاً، قائد مئة، في الجيش الفارسي، ونشأت بينه وبين شاه فاس، يزجره الأول، علاقة صداقة حميمة، فصار معتبراً من جماعة البلاط الملكي ومشاركاً في مجالس النبلاء وأركان الدولة. انغمس في حياة البلاط الملكي والترف حتى انه قدّم الذبائح للآلهة الوثنية بناءً على طلب الشاه. سقط وكان سقوطه عظيماً، وبكاه كل معارفه من المسيحيين. أرسلت له والدته وزوجته رسالة توبخانه فيها على فعلته وعلى الضلال الذي وقع فيه، وأعلنتا أنهما تصلّيان من أجله إلى الرب لكي «يفتح عينيك المغمضتين ويلقي بنوره الإلهي في صدرك كي تعود عن غيئك وضلالك». وحثته على العودة إلى رشده والتوبة وإلا فإن «إصرارك على ما أنت فيه سيجعل بينك وبيننا قطيعة».

اهتز يعقوب للرسالة واستفاق من سقطته وبكى بكاءً مرّاً على خطيئته وقرر المواجهة والعمل على محو خطيئته، والمجاهرة بإيمانه في كل مناسبة وفي كل مكان. وصل خبره إلى الشاه الذي لم يصدّق ان صديقه يعقوب يمكن أن يخونه. استدعاه، فاعترف يعقوب بالرب يسوع ولم ينكر معلناً له «أنا عبد للمسيح، أمين له حتى آخر حدود الإيمان والأمانة». أغراه الملك بالمناصب والمال فلم يتراجع. أغواه بمنترفات العالم فلم يهتم. هدده فأجاب: «عبثاً هو مسعك أيها الملك العزيز، فإمسك الريح أسهل من إقناعي... إن عبادتك باطلة وآلهتك كاذبة، فأنا لا أحشى وعيدك وتهديداتك... ولو قطعتي إرباً وأحرقنتي بالنار، فلن أعود عن قراري ولن أجد المسيح». حاول الملك مجدداً، لكنه لاقى من يعقوب الجواب نفسه: «الموت أسهل عندي من ترك المعلم». غضب الملك جداً وأمر بإنزال أشد العقوبات بيعقوب: تقطيعه قطعة قطعة حتى يموت. فاهتز المسيحيون لقرار الملك وبكوا على يعقوب كثيراً.

جمع الملك الحشود لكي يشهدوا تنفيذ الحكم، فيما كان يعقوب في راحة وسلام داخلين ولم يبذ عليه أي اضطراب. وظهرت الملائكة فوق الجموع تشدّد يعقوب، مما أثلج قلبه. ولما نظر يعقوب إلى آلات التعذيب أتاه صوت إلهي يقول: «هذه جسر العبور إلى هناك يا يعقوب، فلا تخف». قيّد الجند يعقوب

ووضعوا إحدى يديه على سندان ليقطعوا أصابعه، فصار الناس يبكون ومنهم من تمنى أن يتراجع عن موقفه. أما هو فدعاهم إلى عدم البكاء عليه بل على أنفسهم، قائلاً لهم «سأتوجع قليلاً ثم ينتهي كل شيء». ثم صلى إلى الله لكي يمدّه بالقوة لكي يثبت إلى المنتهى.

بدأ الجلادون بتنفيذ الحكم فقطعوا أصابع يديه عقدة عقدة، ثم أصابع رجليه. أما هو فكان يصلي ويكرر آيات من الكتاب المقدس، مردداً «سيدي يسوع المسيح، يا من تسند الضعفاء والمقهورين، يا رجاء من لا رجاء لهم وقوة الضعفاء، أسألك أن تعينني في ما أنا فيه حتى يتمجد اسمك القدوس». ثم قطع الجلادون كاحليه وركبتيه وفخذيته. أما هو فكان يشكر الله ويرتل مسبحاً إياه. احتاج الشعب للمنظر فأوعز الملك أن يُقطع رأس يعقوب. صلى يعقوب إلى الرب الذي منحه القوة ليثبت إلى النهاية. قطع السيف رأس يعقوب فسالت دماؤه وانتقل ليكون في حضرة الملك السماوي.

سرق المؤمنون جثمان يعقوب ليلاً، جامعين أطرافه، ودفنوه بإجلال كبير. رفاتة اليوم موزعة على أكثر من مكان في العالم، في روما والبرتغال حيث يحتفل بعيده في ٢٢ أيار. فبشفاعته ألهم ارحمنا وخلصنا آمين.

+ عقيدتنا

صورة الله ومثاله

«فإنه لملائكة لم يُخضع العالم العتيد الذي نتكلم عنه، لكن شهد واحد في موضع قائلاً ما هو الإنسان حتى تذكره أو ابن الإنسان حتى تفتقده. وضعته قليلاً عن الملائكة، بمجدٍ وكرامةٍ كللته، وأقمته على أعمال يديك. أخضعت كل شيءٍ تحت قدميه» (عبر ٢: ٥-٨).

عندما خطئ الإنسان وعصى أوامر الله قال له الخالق «بعرق وجهك تكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها، لأنك ترابٌ وإلى ترابٍ تعود» (تك ٣: ١٩). يتبين لنا ان الإنسان جزء من هذه الطبيعة، من الأرض التي أخذ منها، هو من ترابٍ وإلى التراب يعود. لكن الله خلقه متسامياً، بما لا يُقاس، على هذه الطبيعة، خلقه على صورته ومثاله: «وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا. فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التي تدب على الأرض. فخلق الله الإنسان على صورته.

على صورة الله خلقه. ذكراً وأنثى خلقهم» (تك ١: ٢٦ و٢٧). سلطة الإنسان على الكائنات والأرض مرتبطة بصورة الله الموجودة في الإنسان. بعدما خلق الله الكائنات الأخرى «أحضرها إلى آدم ليرى ماذا يدعوها. وكل ما دعا به آدم ذات نفس حية فهو اسمها. فدعا آدم بأسماء جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية» (تك ٢: ١٩ و٢٠).

إذاً، قال الله: لنصنع الإنسان على صورتنا ومثالنا، وهذا ما لم يقله عندما خلق الكون والأرض وكل ما فيهما. لقد خصَّ الله الإنسان بميزة لم يُنعم بها على أي من المخلوقات الأخرى.

ماذا تعني صورة الله ومثاله؟ «الصورة» لا تعني الشكل الجسدي الخارجي. الله روح ولا علاقة له مع أي جسد مادي أو ما شابه. الصورة تعني ان الله وضع في الإنسان صفات شبيهة بالصفات الموجودة فيه، فجعل فيه عقلاً وإرادة وحرية وإبداعاً وحباً. الصورة تعني حرية الإنسان وقدرته على الاختيار وعلى عمل ما يريد.

أن يحمل الإنسان صورة الله تعني أن يكون مثل المسيح، صورة الله غير المخلوقة، ويشارك في كل الخاصيات الروحية للألوهة. بكلام آخر، وحسب تعبير الآباء القديسين، أن يصير الإنسان بالنعمة الإلهية كلُّ هو الله بالطبيعة. إذا كان الله كائناً حراً وروحياً، هكذا على الإنسان، ذكراً وأنثى، أن يكون. إذا كان الله قوياً وخلقاً، يملك السلطان على كل الخليقة، هكذا على الإنسان المخلوق على صورته أن يمارس سلطانه في العالم. وإذا كان الله يمارس السلطة والحكم لا بالعنف والاستعباد والظلم، بل بالمحبة والرأفة والخدمة، هكذا يجب أن يمارس الإنسان سلطانه. إذا كان الله محبة ورحمة ورأفة واهتماماً بكل شيء، الإنسان مخلوق لكي يكون مثله. أخيراً، إذا كان الله لا يموت ويحيا في فرح كامل وجمال متجانس وسعادة مع كل الخليقة، فقد خلق الإنسان ليحيا حياة أبدية في فرح وشركة متجانسة مع الله ومع كل الخليقة. إذاً صورة الله في الإنسان هي الصفات الروحية والأخلاقية التي لله والتي يسعى الإنسان إلى تطبيقها. وعلى رأس هذه الصفات الحرية. فانه خلق الإنسان بملء حرته. والحرية هي ما تميّز الإنسان عن سائر المخلوقات.

أما «المثال» فهو الجانب العملي للصورة، أي أن يستعمل الإنسان إرادته الحرة بشكل إيجابي لتحسين نفسه أخلاقياً وعملياً لكي يقترب أكثر من الله. بعدما

أعطى الله الإنسانَ السلطانَ على الكائنات، «أخذ الربُّ الإلهُ آدمَ ووضعهُ في جنة عدن ليعملها ويحفظها» (تك ٢: ١٥)، لكي يجعل الطبيعة أكثر جمالاً وترتيباً وإنتاجاً، والأهم لكي «يعكس» صورة الله في الخليقة، ويجعل حضورَ الله بارزاً وإرادةَ الله وقوتهَ منتشرة في الكون. بكلامٍ آخر، على الإنسان أن يكون كاهن الكون، أي أن يرفع الكون إلى الله عبر جعله الكون ملكوتاً إذ عندما يشترك بالخلق مع الله (كما ذكرنا سابقاً)، ويحكم بمحبة الله وعدله، ويقود الخليقة نحو الأسمى ويقربها من الله، يحقق الملكوت على الأرض. وهكذا تسبّح الخليقةُ الله من خلاله، لأنها ترى صورةَ الله فيه متجلية.

حسب العقيدة الأرثوذكسية، نمو الإنسان الروحي لا حدود له ولا نهاية، لأن الإنسان مخلوق على صورة الله ومثاله. كيان الله وحياته لا حدود لهما ولا يسبر غورهما ولا ينضب. فكما ان الصورة الإلهية لا حدود لها، هكذا صورة الإنسان لا حدود لبشريتها في ما تستطيع بلوغه بنعمة من خالقها. إذا كانت الصورة هي صفات الله المزروعة في الإنسان، فمن يستطيع أن يدرك عمق هذه الصفات، أو أن يحويها بكمالها؟ الإنسان في سعي دائم أن ينمو من نعمة إلى نعمة، ومن مجد إلى مجد. دعوة الإنسان أن يكون مثل الله دائماً، حتى في الملكوت وإلى منتهى الأزمان، عندما سيأتي المسيح ثانية ليقم الأموات ويعطي الحياة للذين يحبونه.

لقد علّمنا الآباء القديسون انه مهما كانت درجة النضج والنمو التي وصل إليها الإنسان، ومهما كانت قوته وحكمته ورحمته ومعرفته ومحبتة، فإنه يبقى الكثير من الكمال الإلهي الذي عليه أن يسعى إليه في حياته. ولكي يستطيع الإنسان أن يتقدّم، عليه أن يستقي من نبع الألوهة الواحد، وبمقدار ما يجعل نعمة الله الموجودة فيه تعمل أكثر، تتجلى أكثر فأكثر صورة الله فيه وينعكس نورها على الكون حوله.